

# من وراء البحار

## الصين ومشاكلها

هزيمته وينسحب دون إراقة الدماء . ولكن يظهر الآن أن الصين دخلت طور التطرف . فقد حدث في الأشهر الستة الأخيرة أن اصطدم جيشان كبيران ثلاث مرات اصطداما عنيفا ، ولم يحدث في أية مرة من هذه المرات أن انسحب الجيش الضعيف . ففي منشوريا تقدمت الجيوش الوطنية إلى الشمال على طول خط السكة الحديدية وانتصرت على الشيوعيين في معركة زينكاى نصرا كلفها كثيرا . وفي ولاية شانتونج تقدم جيش وطنى فى شبه جزيرة كياوتنج محاولا أن يمنع الشيوعيين من الوصول إلى البحر . وفى ولاية هونان وولاية شانتونج الغربية حاول الوطنيون أن يقتحموا المنطقة ويعبروا النهر الأصفر إلى أن يصلوا إلى مدينة شنجشون التى هى مركز للاتصال بالسكك الحديدية . ولكن الحروب فى الصين لا تنتهى إلى النهاية الثابتة التى تنتهى إليها المعارك فى الغرب . فهذه الهجمات الثلاث من الوطنيون انقلبت إلى حالة توقف عن إتمام العمل الذى بدأت به . ففي منشوريا عاد الشيوعيون إلى استعمال الأساليب التى كانوا يقاومون بها اليابانيين ، فأحاطوا بكل مدينة من المدن التى استولى عليها الوطنيون . فصارت الجنود الوطنية محصورة على حين لا يسيطر الشيوعيون على الأراضى فيما حول المدن . وفى شانتونج تمكن الشيوعيون من اختراق الجيوش الوطنية وعبور النهر الأصفر وقاتلوا فى معركة غير حاسمة

يظن بعض الساسة أن الشرارة الأولى لأى نضال ينشب بين الروس والأمريكان سوف يبدأ فى الشرق الأقصى . ذلك ما يقوله هؤلاء الساسة وإن كان غيرهم يشير إلى مواقع أخرى قد يحدث فيها الاحتكاك . ومهما يكن من شئ فإن الأخبار عن الصين قليلة ، حتى ليس المرء أية معلومات يعثر عليها فى المجلات تكون مكتوبة بقلم رجل خبير . ولقد نشرت مجلة «القرن التاسع عشر وما بعده» بحثا من هذا النوع بقلم مستر توفى جيسون الذى قام وقتا طويلا بعمل إدارى فى شمال الصين ، وعهد إليه بمهمة المفاوضة مع الشيوعيين فى الصين ؛ فهو إذن يكتب عن خبرة . وهو يقول إن الحياة فى الصين قائمة على المساومة ثم الاتفاق . فإذا أراد التاجر الصينى أن يبيع أو يشتري فإن المعاملة تفقد كثيرا من بهجتها إذا لم تقم على المساومة . وما يتفق عليه الطرفان ليس هو ما يؤملان فيه ولكنه نتيجة لمجهودهما . ولذلك يجب الصينيون الاتفاق على الأمور ، وهذا ما يحدث حتى فى الحروب ؛ فإن الحروب فى الصين قد تكون مضيعة للوقت ولكنها لا تؤدى إلى نهك قوى الصينيين . وعند ما يتقابل جيشان متعاديان لزعيمين مختلفين فى تلك البلاد ويكون أحدهما أضعف من الآخر ضعفا ظاهرا ، تقوم بينهما المفاوضة وتؤدى عادة إلى انسحاب الضعيف منهما من ميدان القتال . فترى الفريق الأقوى منهما يترك للضعيف الفرصة كي يعترف

وحده عن الأزمة التي تواجه الصين الوطنية . فقد ظلت الحكومة الوطنية عدة سنين نهباً للاستغلال السياسي والاقتصادي على يد رجال الحزب ، ويستعمل الوزراء سلطتهم للربح غير المشروع . وقد رأى الحلفاء في أثناء الحرب أن يفضوا عن هذه الأمور حفظاً للوحدة . ومع ذلك رأى القائد الأمريكي جون ستول أخيراً أن الاستمرار على هذه السياسة يسيء إلى الأمور أكثر مما يفيدها .

ولم تعمل الحكومة الوطنية لاختفاء الحقيقة على العالم الخارجي وحده بل اتخذت من سلطتها وسيلة لكم أنفاس المعارضة داخل البلاد .

ولكن الأمور لا يمكن أن تستمر على هذه الحال ؛ إذ أخذت الحقيقة تظهر حتى لأشد أنصار القائد الصيني . ولقد أرسل الجنرال فيدمير الأمريكي في بعثة إلى الصين لبحث الموقف وكان تقريره خطيراً ، حتى عدل الرئيس ترومان عن إذاعته . ولكن الجنرال نفسه تكلم عند مغادرته للصين عن الموظفين الذين تنقصهم الكفاية أو نعوزهم الأمانة بمن يشغلون مراكز السلطة في الحكومة الصينية الآن . ولا يمكن لمثل دولة صديقة أن يدلى بمثل هذا القول دون أن تكون لديه براهين ساطعة .

ولقد سارت الأمور الاقتصادية بأسرع من الأمور السياسية خطى في طريق الخراب . فالتلاعب بالعملة على يد رجال المال في نانكين وشنجهاي أدى إلى فضيحة ظهرت أخيراً وقد اشترك فيها رجال وزارة المالية . ولقد اضطرت عدة مصانع صغيرة إلى إغلاق أبوابها بسبب التضخم في العملة . ففي نحو سنة ١٩٢٠ كان الدولار الصيني خمسة أضعاف قيمة الدولار الأمريكي ، وعندما

في ميدان يبعد ثلاثين ميلاً عن مدينة هانكاو . وقد أصاب الوطنيون نجاحاً أكبر في الميدان الثالث حيث أبعدها الوطنيون عن البحر .

ولقد طبل الوطنيون وزمروا باستيلائهم على مدينة ينان عاصمة الشيوعيين في السنة الماضية . ولكن الأمر انتهى إلى أن أحاط بهم الشيوعيون ، فصارت المدينة كأنها جزيرة في أيدي الوطنيون يحيط بها بحر من الجيوش الشيوعية .

ويعتقد الكثير من الرقباء أنه ليس لدى أي الفريقين المنازعين في الصين من القوة ما يستطيع به الوصول إلى انتصار حاسم في جميع الميادين . ولا ريب في أن الوطنيون مسلحون تسليحاً جيداً بالأسلحة الأمريكية ، ولكن الشيوعيين يعتمدون على تحمس الشعب لهم في الجهات التي يسيطرون عليها وهو ما لا يجده الوطنيون . ويأمل الشيوعيون في مساعدة روسيا إذا زادت مساعدة الأمريكان للفريق الآخر . ومجمل هذا أن الفريقين عازمان على القتال إلى النهاية . ففي مساحة تبلغ مساحة أوربا بأكملها لا تجد ضامناً للحياة ولا للمعيشة ، وكل فريق يجند الفلاحين في وحداته . وإذا كان الرأي العام يميل إلى الشيوعيين فإن الذين يجندون لا يقابلون هذا العمل بالحماسة . وتجد كل فريق يرتكب فظائع ضد الفريق الآخر زاعماً أنه إنما يفعل ذلك انتقاماً . وقد أخذت الصناعة في تلك البلاد تتخفق تدريجياً . وقد حاول الشيوعيون في منطقتهم أن يمنعوا التجارة مع المنطقة الأخرى ولكن هذا غير مستطاع ما دامت الصناعة في تلك المنطقة غير متقدمة . وفي منطقة الوطنيون أدخل الخصم بالمواصلات حتى صار مرور البضائع صعباً جداً . وليس هذا القتال القائم هو المسؤول

الوطنية كثيرا من الأنظمة التي كانت متبعة في البلاد الألمانية تحت النظام النازي ، فألفت من الشباب المناصر لها جنودا تتخذهم جواسيس ويكونون أداة لها في امتداد سطوة الحكومة . ويجد الأجنبي من أنواع الشرطة في الصين مالا يستطيع تمييزه ، ولكل من هذه الأنواع واجبه المدني والسياسي . وفي جهات كثيرة مثل شنغهاي التي هي بعيدة عن ساحات القتال تعبد الأحكام العرفية قائمة منذ سنين ولا حد لسلطة القواد العسكريين .

ومنذ شهر أبريل الماضي خرج آلاف من طلبة الجامعات في كل مدينة من المدن الصينية إلى الشوارع وهم ينادون بالرغم من السياسيين بوقف الحرب الأهلية ، ولا يزالون يطالبون بذلك وإن كانت بعض الجامعات تحيط بها الأسلاك الشائكة ويقف حولها رجال الشرطة بأسلحتهم .

وعلى أثر أول صدام بين حركة الطلبة والحكومة الوطنية في مايو ويونيه الماضيين هدأت الأمور مؤقتا في حين أخذ كل من الفريقين يجمع جموعه . وقد أرسل القائد العام باقة من الزهر لتحمل في جنازة الطلبة الذين قتلوا بيد الشرطة ، وظهرت نداءات داعية إلى ضبط النفس والابتعاد عن العنف . وما يلاحظ أن هذه النداءات كانت موجهة للمعتدى عليهم لرجال الشرطة والجيش . ولكن يظهر أن الزمن الذي تذر فيه دموع التماسيح قد مضى وتجددت الأبناء الآن بعودة المشاغبين وعودة القبض على الطلبة . ولقد أظهر الطلبة شجاعة وإصرارا ، ولكن هاتين الصفتين ليستا كل ما يميزهم بل خير صفاتهم هو الاحتمال . فهم الآن واقفون بين الفريقين المتطرفين اللذين يمزقان الصين تمزيقا . فهؤلاء الطلبة ينادون بأن على الفريقين أن يسويا ما بينهما من خلاف

شبت الحرب الأهلية هبطت قيمة الدولار الصيني فبلغت في سنة ١٩٣٧ خمس الدولار الأمريكي ، وفي سنة ١٩٤٥ صار سعر الدولار الأمريكي ألف دولار صيني ، وهو الآن ٩٣ ألفا ، ومع ذلك لا يزال التضخم مستمرا .

ولقد نشر أخيرا أحد الكتاب الصينيين مقالا عن سقوط دولة شنج التي حكمت بلاد الصين قبل ألفي سنة ، وفيه يقول : إن هذه الدولة جمعت السلطات في يدها ، وإن هذا الجمع للسلطة مع اتخاذ قوانين استثنائية قد أدى إلى النضال والثورات . وقد لغت هذا المقال الأنظار واعتبره الناس سبيلا لوصف الحالة القائمة لا لوصف سقوط دولة تاريخية . ولكن من الملاحظ أن الصين كثيرا ما تتغلب على رجالها الحكمة حين تبدو الأمور في أشد الخطر ، فتعود الأمور إلى تسوية معقولة . وما يلاحظ أيضا أن الطلبة في الصين مثل زعمائهم يتراوحون أحيانا بين التطرف في العمل والخضوع مع السكينة ، وكثيرا ما هبوا لانتقاد بلادهم . وفي سنة ١٩١١ أيدوا رسالة الدكتور سان يات سن ونصروه فأثروا بذلك في الملايين ؛ فكانت النتيجة طرد الأسرة المالكة وتولى الدكتور سان زعامة الصين الحديثة . وكان الطلبة هم الذين نشطوا في سنة ١٩٢٦ ونظموا الجماهير الجاهلة للقضاء على سلطة الحكام في الولايات الصينية .

والآن تقدم الطلبة مرة أخرى لانتقاد الصين ، فاحتجوا على استمرار الحرب الأهلية والرشوة التي انتشرت في مصالح الحكومة المختلفة ، وذلك بالرغم من تهديدات الحزب الحاكم وبالرغم من المعسكرات التي حجزوا فيها والاعتداءات التي لاقوها من رجال الشرطة السياسية . ولقد استفادت الحكومة

على الاستغلال التجاري الأجنبي . وقد ظهرت أكبر النتائج لهذه الحركة في المدن الكبرى التي بها جامعات في الأشهر القلائل الأخيرة . فهم لم يكتفوا ببيع المصنوعات التي صنعوها بأنفسهم في الشوارع ، بل قصدوا التجار الصينيين في كل مدينة واتفقوا معهم على بيع مصنوعاتهم وتقسيم الربح بين التاجر وبين صندوق الأموال الذي يغذى حركتهم . وقد حدث في المدن الساحلية مثل شنجهاي أن فقدت الخوانيت الأجنبية عملاءها بين يوم وليلة ؛ إذ صار الناس في كل مكان يصغون إلى نداء الطلبة : « اشترؤا البضائع الصينية ولو كانت من نوع أقل جودة فإن ذلك هو السبيل الوحيد لاستقلال التجارة الصينية . »

وكان أثر هذه الحملة عميقا ؛ فلم تمض أسابيع حتى استطاع الطلبة بجهودهم أن يدبروا من الأموال ما يكفيهم للاستمرار في دراساتهم بالرغم من أن الحكومة قررت معاقبة الذين يعارضونها منهم بالحرمان من المحاجية .

وفضلا عن ذلك فإن طبقة التجار البعيدة عن السياسة صارت تؤيد قضية قيام حكومة متألفة .

وإذا كانت حركة الطلبة متجهة في أساسها نحو الاقتصاد الوطني فإن لها تأثيراً آخر إذ اتجهت نحو الأحزاب الديمقراطية في الصين . ولقد أخذوا الأحرار يتبعون خطوات الطلبة في شيء من التردد . فقد كانوا خائفين من بطش الحكومة ، ولكنهم أخذوا يرفعون الصوت تأييدا للطلبة ، وأبدى المعلمون والأساتذة بل موظفو الحكومة أنهم في صف أولئك للذين يعملون لآحياء الوطن .

هذه هي الحرب القائمة داخل الحرب

وهم لا يريدون الصلح بأى ثمن ، وإنما يريدون وقف تلك الحرب التي ستقضى على البلاد كي تستأنف البلاد العمل لاعادة بنائها الاقتصادي وإحياء القيم الاخلاقية .

ومما يسترعى النظر في حركة الطلاب ما حدث بها من تغير منذ شهر يوليه الماضي . فقد كانت هذه الحركة تجار بالشكوى من غلاء المعيشة وتدخل الحكومة في الدراسات وتحويل ميزانية التعليم إلى الامور الخيرية والتضاء على الحريات في كل مكان . ولكن الطلبة الآن لا يهتمون بالشكوى بقدر اهتمامهم بوسائل العلاج . وأول علاج يرونه ضروريا هو وقف الحرب الأهلية وأن يبدل بالحكومة القائمة حكومة تتألف من المعتدلين من رجال اليمين واليسار . ولكن الطلبة يحاولون شيئا أكبر خطرا من ذلك ؛ فقد قرروا أن يقوموا بثلاث واجبات هامة : أولها أن يعملوا لضم الفلاحين إلى حركتهم وأن يحيا فكرة تربية الجماهير . وأخذ الطلبة يقصدون القرى ليبتدئوا هذه الحركة من أولى درجات السلم ويعلموا الفلاحين مبادئ القراءة . وهم يحملون رسالة أساسية للاقتصاد القومي في الصين اليوم ؛ فهم يريدون أن يقيموا فكرة الاعتماد على النفس كما تراها في إحياء الصناعات الريفية بطريقة تعاونية . وهي حركة تعد في مبدئها بالنسبة لجهودات الطلبة ، وإن كانت قد انتشرت منذ عشر سنوات لغرض آخر هو إيجاد مصنوعات يستغنى بها الجيش في مقاومته لليابانيين . وقد أخذ الطلبة يصنعون بأنفسهم مصنوعات يستطيعون بيعها في الشوارع لمساعدة حركة الطلاب . وهم يتوسعون أيضا في رسالتهم ، فهم يريدون أن تكون الصين مستغنية بنفسها لا تعتمد

الأهلية الأخرى في الصين وإن كان الناس لا يعرفون عنها كثيرا . فان الصحف توقف ، والصحفيين يقبض عليهم ، والسياسيين يختطفون أو يفرض عليهم الحجز في منازلهم . ولكن بالرغم من ذلك تتسرب الأنباء بأن النضال مستمر . ولا يزال الفريقان المتطاحنان يمزقان أوصال الصين ، ولكن هذه القوى الحيوية تعمل لاحياء البلاد وإنقاذها من الموت .

### بريطانيا وحكومة العمال

الحديدية من القرية التي يعيش فيها تبعد ميلين . وهو يكون سعيدا لو منح ترخيصا خاصا بأن يذهب لشراء حاجاته مرتين في الأسبوع . على أنه لا يسمح له إلا بشراء حاجته وألا يكون له الحق في أن يستعمل القطرات التي يعطاها من البنزين لهذا الغرض في زيارة صديق أو الذهاب إلى السينما أو تناول الطعام خارج الدار . وعلى كل رجل من رجال الشرطة أن يبلغ عنه لو رأى سيارته متحركة أو واقفة في أي مكان خارج عن أقصر خط يصل بين داره وأقرب الحوانيت إليه . ومعنى هذا أن يقضى الشتاء بأمله هو وزوجته دون أن يستطيع زيارة الأصدقاء أو الذهاب إلى مطعم عام أو دار سينما أو مسرح أو محاضرة أو حفلة موسيقية . ولتفكر في هذا الأمر قبل أن تستمر في القراءة .

وهو يدعوننا إلى التفكير في أن هذه حال مئات الآلاف من الناس يعيشون في الريف ولا يجدون وسائل النقل ، فهم لا سوا في فصل الشتاء حين تظلم الدنيا مبكرة ، ينتقطعون عن الحياة الاجتماعية والثقافية ، وكأنه فرض عليهم الحجز في بيوتهم ، على أنهم في يوم الأحد يستطيعون الذهاب بسياراتهم في موكب إلى الكنيسة . والعجيب في الأمر أن حكومة اشتراكية

في مقال ساخر - بمجلة «بارتيزان» عدد ٧ - وصف الكاتب آرثر كيستلر حالة إنجلترا وصفا طريفا ، بدأه بلغز يسترعى به الانظار سائل فيه ما السبب في أن الكاتب - أي كيستلر - يعد نفسه سعيداً في السنة الثالثة من حكم الاشتراكية البريطانية في إنجلترا لو أنه كان كاثوليكي العقيدة وكانت له جدة مريضة ؟ وهو يجيب على هذا اللغز بقوله : إنه لو كانت له جدة مريضة لسمحت له الحكومة البريطانية بما يكفيه من البنزين ليأخذها بسيارته مرة في الأسبوع للصلاة في أقرب كنيسة كاثوليكية وهي في مدينة بنجور على مسافة ٥٠ ميلا ، وبهذه الطريقة يستطيع أن يذهب إلى أماكن عدة ويرى العالم من حوله . ولا ريب في أن الجدة لو كانت تابعة للكنيسة الانجليكانية أو الويزلية لنفعت في مثل هذا الأمر ، ولو أن الكنائس تكون أقرب في المسافة وأن البنزين يكون أقل . وهو يقول إنه خال من مثل هذه القرابة ، وليس من الذين يرتادون الكنائس ؛ ولذلك فهو في موقف صعب ، وهو يعيش في تلال ويلز وسكنه يعد عن موقف السيارات العامة في الريف بنحو ميل . وهذه السيارات لا تعمل بعد الساعة التاسعة مساء ولا تعمل مطلقا في يوم الأحد . وأقرب بلدة يوجد فيها حوانيت وسينما ومحطة للسكك

تقص في الأيدي العاملة ، وبها فضلا عن ذلك نقص في المساكن للأسر الوافدة . هذه الكلمة ولا تشير إلى ما سيحدث في المستقبل إذا عاد الناس إلى استعمال السيارات ، وكيف يعود هؤلاء الناس إلى عملهم الأصلي وديارهم الأصلية . وعلى الحملة لكي تقتصد الحكومة من خمسة إلى عشرة في الألف من عجزها في الدولارات تراها تشل حركة النقل الخاصة وتضع عبئا جديدا على وسائل النقل العامة ، وهي بعد مثقلة بما يكفيها ، وهي تنزل عن باب هام من إيراداتها تفكك أوصال صناعة هامة منتشرة في جوانب البلاد ، وهي تحول بين طبقة كبيرة من السكان وبين التمتع الاجتماعي والثقافي . وهي تغضب الطبقات الوسطى والتي هي أقل من الوسطى والعليا من طبقة العمال لدرجة رأت أثرها في الانتخابات البلدية حين حاقت بمرشحي العمال هزائم منكرة ؛ فهي تسير على سياسة إنفاق دينار لكي تقتصد درهما .

وانتقل الكاتب بعدئذ إلى الجانب السياسي من هذا التقييد ثم قال : هكذا تستمر الحكومة في قتل روح حب العمل . فاذا اختفت هذه الروح نرى ظهور أعراض نفسانية أخرى منها تلك الموجة من الاضرابات التي يصح أن نسميها الاضرابات النفسانية ؛ فهي ليست إضرابات اقتصادية رغبة في زيادة الأجور ، ولا هي إضرابات سياسية ، بل هي مجرد انفجار في الغضب من تلقاء نفسه يكون أحيانا لأسخف الأسباب مثل إضراب عمال الفنادق الذي حدث أخيرا . وكثيرا ما يكون الاضراب موجهها إلى الإدارة السيئة للصناعات التي أمتت كأضراب عمال المناجم في يوركشير ، وهناك أعراض أخرى . ولكنها صادرة عن المصدر النفسي ذاته ، مثل ذلك العدد من الانجليز الذين

تري أن الذهاب إلى الكنيسة أهم من المحاضرات والمسارح والاجتماعات . وليس لهذه الظاهرة ما يماثلها غير مقاطعة الحكومة البريطانية لانتاج الكتب . وليست هنالك كلمة أخرى تصف السياسة التي تجرى عليها تلك الحكومة حين تخفض من الورق الذي يعطى للناسخين .

ويتنقل الكاتب بعد ذلك إلى البحث فيما يعنيه منع الناس من استعمال سياراتهم من الجهة الاقتصادية ، وهو يقول إن الحكومة البريطانية تزعم أنها توفر بذلك ما قيمته ٤ مليون دولار من البنزين الذي تستورده من الخارج ، ولكن نقادها ومنهم أعضاء في حزب العمال يرون أنها لن تقتصد أكثر من عشرين مليوناً . وقد ظهر حتى الآن أن نقاد الحكومة في الأمور الاقتصادية كانوا دائما على حق في حين كان المدافعون عنها خاطئين . ومع ذلك لو أننا قبلنا تقدير الحكومة فإن هذا الشلل الذي يصيب المواصلات في بريطانيا لن ينقص من العجز الناشئ عن قلة الصادرات غير ١٪ من مجموعها . وتعترف الحكومة فضلا عن ذلك أن خسارتها في ضرائب السيارات تزيد كثيرا على المبلغ الذي اقتصدته ، ولكنها تعتذر عن ذلك بأن الضرائب تدفع بالعملة الاسترلينية لا بالدولارات ؛ ولذلك كانت هذه الخسارة غير مكروهة . ثم تعترف الحكومة كذلك بأن عددا كبيرا من عمال الآلات الخاصة باصلاح السيارات وحاملات البنزين وغير ذلك لا يحدون عملا ، وتقول الحكومة مع ذلك إن هذا الأمر لا يهم ؛ فإن صناعات أكبر انتاجا سوف تتشربهم . وكلمة التشرب هذه كلمة موقفة نافعة ، وهي لا تشير إلى الكيفية التي بها تنتقل الأسر من الأماكن التي قل بها العمل إلى الأماكن التي بها

الالتجاء إلى الحوافز القديمة كالدعوة إلى الجامعة السلافية وعبادة الزعيم والعمل القهرى والقضا- على الاضطرابات وعلى الوراثة وعلى امتيازات الطبقات وغير ذلك. أما بالنسبة للاشتراكية البريطانية وهى اشتراكية اصلاحية وتدرجية ، فان مشكلة الحوافز تتخذ شكلا آخر . وليست بظاهرة الأهمية كما هى فى حالة روسيا بعد الثورة البلشفية الاجتماعية ، ولكنها حاسمة بقدر ما هى فى روسيا فى نجاح هذه الاشتراكية أو إخفاقها . ولما كانت سياسة حزب العمال فى الصناعات التى أقيمت ووضعت تحت إشراف الحكومة هى سياسة أكثر عدلا وديمقراطية وأشد تحقيا لأراء اليساريين من الوجهة الاقتصادية عن سياسة نظام ستالين فهى لا تلتهجىء إلى تلك التفرقة العجيبة بين الأجور وامتيازات نظام الساخونيفين والاستقلال والارهاب الذى هو محور استمرار الصناعة السوفيتية ، ولا هى تقدم تلك الحوافز المباشرة للنظام الرأسمالى ؛ إذ يؤدى العمل إلى التقدم المادى ويزيد هذه الحوافز قوة الخوف من العطلة وهذا ما نراه فى الصناعة الأمريكية .

تلك هى المشكلة الأساسية للديمقراطية الاجتماعية البريطانية ، كما أنها مشكلة لكل نظام ديمقراطى ، وهى ميراث من النظام السابق الذى انتقل إلى يد الديمقراطية من يد الطبقة الحاكمة بعد الافلاس التام . ولا يمكن حكومة العمال أن تحل هذا المشكل إلا بقوة خيال كبيرة تبذل فى سبيل ذلك ، ويجب أن تبعث الوعى الثورى الحقيقى فى نفوس الجماهير ، وأن يزيد الشعور بالمسئولية لافى النقابات الوطنية ونظامها البيروقراطى ، وإثما فى رجال المصانع أنفسهم وفى أنظمة أندية العمال ومعسكرات النزهة وغيرها من

صاروا بين أولئك الذين لا يحاولون العمل وبين رجال العصابات . وتعلن الاحصاءات الرسمية أن هنالك نحو ربع مليون من هؤلاء يتهربون من تسجيل أسماهم فى سجلات نقابات العمل ويشغلون فى السوق السوداء ويشغلون وقت الشرطة المخصصة للمجرمين ، ويزداد هذا العدد باطراد . ولقد كانت بريطانيا منذ سنة تفخر بحق بأنها الدولة المحاربة الوحيدة التى لا تسود فيها السوق السوداء ، ولكن الحالة اليوم قد تغيرت ؛ فقد أخذ الزراع يذبحون ماشيتهم بطريقة غير مشروعة كما يحدث فى فرنسا . واعترفت وزارة التموين أخيرا أنها غير قادرة على منع هذا العمل . وهذه الأغراض وكثير غيرها تدل على ضعف فى القوة الأخلاقية فى البلاد . وهذا ناشئ من أنه حيل بينها وبين فيتامينات روح الابتداع والدوافع على العمل وقوة الآمال . ومن أعجب هذه المظاهر النفسانية ذلك الخنون الذى استولى على العقول ودفع بها فى تيار المراهات بما لم يكن له مثيل . فقد كان الناس فى بريطانيا يراهنون دائما على لعب الكرة والخيل والكلاب ، ولكنهم انتقلوا الآن إلى أسخف الأمور كالمراهنة على آخر رقم على تذكرة الترام أو الحرف الأول من عمود من عمود الصحف المسائية . وقد يكون الرهان تافها ولكن المسألة لا تتعلق بالنقود بل هى الرغبة فى شئ من التسلية القليلة فى بلد حرم التمتع .

ويقول الكاتب إنه يطيل الكلام على هذه العوامل لأنه يعتقد أن مشكلة إيجاد الحوافز على العمل هى أهم وأصعب مشكلة فى الاقتصاد الاجتماعى . وهو يرى أن إخفاق الاشتراكية فى روسيا ناشئ عن انتهاء الحوافز الثورية وما تبع ذلك من ضرورة

أنواع وسائل الترفيه . وفي عبارة أخرى تقوية الشعور السياسي والتمتع بالحياة . ولكن الناس لا يحدون الآن في بريطانيا غير الاعلانات القائلة : إما العمل أو الحاجة ، ولا يحدون غير المواعظ والحكم على استعمال السيارات بالاعدام . ولو استمر هذا الحال سنتين أخريين لخسر حزب العمال الفرصة التاريخية خسارة لاتعوض ، ويذهب في الطريق التي سلكتها من قبل الأحزاب الديمقراطية في ألمانيا والنمسا وفرنسا .

ولقد بدت الظواهر الخطيرة التي حدث مثلها من قبل في أحزاب القارة الأوربية في معاملة حزب العمال البريطاني للطبقتين الوسطى والعالية ، فقد أخافت جمهورية فيار الألمانية أصحاب الصناعات في الروهر ورجال العسكرية فصاروا أعداء أعداء لها ؛ فقد ظلت تحزهم بالأبر ، ولكنها نسيت أن تكسر من شوكتهم فكانت النتيجة محتومة . ومثل ذلك حدث في النمسا ، ومثل ذلك حدث في فرنسا زمن الجبهة الشعبية ، وهو مظهر يتكرر مع تعديل بسيط محلي . وكان مصارع الثيران الشاب قد دخل الساحة وانحنى لجمهوره المتحمس وبدأ يرفع رداءه الأحمر في وجه الثور حتى جن الحيوان ، ولكن في اللحظة الحاسمة ظهر له أنه نسي

سلاحه في المنزل ، وحينئذ لا بد أن يحمل على الحفنة صريعا أمام جمهوره الذي يلقي عليه الوسائد والبيض إظهارا لسخطه . وفي عبارة أخرى لا تستطيع حكومة اشتراكية إلا أن تختار بين أمرين ؛ إما القضاء على الطبقة الحاكمة القديمة ، وإما إيجاد وسيلة للعيش معها . وقد حاولت كل حركة اشتراكية ديمقراطية تولت السلطة في أوروبا منذ سنة ١٩١٨ أن تتجنب هذا الاختيار . وفي كل مرة كانت الحركة تتحقق ضحية لمحاولة تجنب هذا الاختيار . قد يقال إن تاريخ بريطانيا الاجتماعي هو سلسلة من الاتفاقات وحيدة في بابها ، ولكن العوامل الجغرافية والسياسية والنفسانية التي أدت إلى هذا ليست قائمة الآن ، وإن الاعتقاد في القوة السحرية لعلاج المسائل بالاتفاق في مثل الخلاف بين عمال المناجم ورجال حي المدينة وبين الدولية ووزارة الخارجية البريطانية ، هو اعتقاد لا أساس له كاعتقاد الراسخ في قيمة السفن الحربية من طراز المدرعات الكبيرة ، والاعتقاد في قوة الأعشاب العلاجية بدلا من السحب ذات النشاط الإشعاعي . ثم أخذ الكاتب يسرد أمثلة على عدم توفيق الحكومة البريطانية في معالجة الشؤون الداخلية والخارجية .

ولقد بدت الظواهر الخطيرة التي حدث مثلها من قبل في أحزاب القارة الأوربية في معاملة حزب العمال البريطاني للطبقتين الوسطى والعالية ، فقد أخافت جمهورية فيار الألمانية أصحاب الصناعات في الروهر ورجال العسكرية فصاروا أعداء أعداء لها ؛ فقد ظلت تحزهم بالأبر ، ولكنها نسيت أن تكسر من شوكتهم فكانت النتيجة محتومة . ومثل ذلك حدث في النمسا ، ومثل ذلك حدث في فرنسا زمن الجبهة الشعبية ، وهو مظهر يتكرر مع تعديل بسيط محلي . وكان مصارع الثيران الشاب قد دخل الساحة وانحنى لجمهوره المتحمس وبدأ يرفع رداءه الأحمر في وجه الثور حتى جن الحيوان ، ولكن في اللحظة الحاسمة ظهر له أنه نسي